لانتهاج خط المناهضة المسلحة للاستعمار والسعي إلى ابرام اتفاق مع حزب «بلشفيكي» دون اي تحفظ او حذر. فالزعماء الذين وجهوا الرسالة الى الحزب عرضوا خذلان دول الحلفاء (وخاصة فرنسا وبريطانيا) للعرب بعد الحرب الاولى، ويأسهم من التوصل الى تحقيق الاهداف القومية بالسبل التقليدية خلال اكثر من اثني عشر عاماً، وعقدهم العزم على توسل كل السبل لجمع شتات الشعب وايصاله الى حقوقه وتشكيل حكومة شعبية محضة وتوحيد البلاد السورية بحدودها الطبيعية. ثم استخلص مرسلو الرسالة انه لما «كان الحزب البلشفيكي غير استعماري، ومن رأيه ان يمد يد المساعدة الى الشعوب الضعيفة وكنا واثقين من ذلك، قررنا، نحن زعماء البلاد، في اجتماعنا الواقع مع ابي يوسف في ١٤ تموز (يوليو) ١٩٣٢، ان نكلف حزبنا الوطني بان يفاوض الحزب البلشفيكي بالاتفاق معنا على تأمين غايتنا المذكورة ومعاونتنا، فعلياً، بالمال والسلاح حسب الضرورة»[٥١].

في نفس الوقت، تقريباً، أي في مطلع الثلاثينات، ظهرت اشارة ملموسة لكنها مقتضبة الى المحاولات الاولى للتنظيم النقابي في شرق الاردن. ففي ذلك الحين، شرع الدكتور صبحي ابو غنيمة في اقامة «اتحاد العمال الاردنيين» الذي كان، حسب والتر لوكير، يضم حوالي الفي عضو في صفوفه، واستمر بضعة اشهر قبل ان تقوم السلطات بحله[٥٢].

واستناداً الى لوكير، ايضاً، فان هذه المحاولة لم تكن الوحيدة في الثلاثينات. فقد تلتها محاولة جديدة لتنظيم العمال نقابياً في العام ١٩٣٦، وقد جاءت بمبادرة من قاسم ملحم، الذي قيل انه كان محاطاً باطار من اصدقاء الشيوعيين الفلسطينيين. وهذه المحاولة تعرضت، بدورها، للاجهاض، اذ جرى ابعاد الاشخاص المعنيين بالتنظيم العمالي المذكور الى خارج البلاد ومنعوا من دخولها ثانية[٥٣].

وفي العام نفسه (١٩٣٦)، ظهرت اشارة لاحقة الى انه جرت خلاله محاولة لتنظيم نقابة او جميعة عمالية لسواقي السيارات. وذكر ان اضرابا للسواقين قد حدث في هذه الاثناء[٥٤]. لكن، ليس من المعروف ان كانت هذه هي ذاتها النقابة التي حاول اقامتها قاسم ملحم ام هي محاولة اخرى من مسؤولية اشخاص آخرين. ومع ان البحث قد يجلو، في المستقبل، الغموض المحيط بهذه المحاولات المتكررة في الثلاثينات، فان الملفت للانتباه هو ان بعض هذه المحاولات قد تم على ايدي المثقفين الوطنيين الاردنيين.

فصبحي ابو غنيمة، الذي كان طبيباً تخرج حديثاً من الجامعات الالمانية واصبح فيما بعد احد اقطاب المعارضة الوطنية في شرق الاردن، ارتبط اسمه بأول محاولة معروفة لاقامة «اتحاد عمالي» في الاردن، في اوائل الثلاثينات. ومع اننا لم نجد اي اشارة اخرى، باستثناء ما اورده والتر لوكير عن هذا الدور لصبحي ابو غنيمة في انشاء اتحاد للعمال الاردنيين، الا انه بالقياس على ادوار مماثلة للمثقفين في العمل النقابي في المنطقة يمكن ان نتصور ان محاولته هذه ربما تأثرت بانطباعاته اثناء الدراسة عن قوة الحركة النقابية العمالية في المانيا في أواخر العشرينات ومطلع الثلاثينات. كما يمكن فهم هذه المحاولة باعتبارها محاولة من هذا المثقف الوطني للاستناد الى التنظيم النقابي العمالي من اجل الوصول الى قاعدة اجتماعية حديثة واطارات منظمة لمواجهة السلطة الرجعية والسلطات الاستعمارية البريطانية، او ربما كانت، ايضا، محاولة للحصول على غطاء قانوني لممارسة النشاط السياسي، خاصة وان طلب تسجيل جمعية عمالية كان اسهل من طلب ترخيص حزب سياسي معارض، ولا سيما قبل إقرار قانون جديد للجمعيات العام ١٩٣٦،